الثقافة الإسلامية

(٥)

الانتظار الموجّه

دراسة في علاقة الانتظار بالحركة وعلاقة الحركة بالانتظار

الإصدار الثاني

مع إضافات وتصحيح وتنقيح

محمّد مهدي الآصفي

مختارات من محاضرات ومقالات
ومؤلفات الشيخ محمد مهدي الآصفي
- ٥ -

*   *   *

اسم الكتاب: ....الإنتظار الموجّه
المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي
الطبعة الخامسة: .... ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م
الكمية ....٥٠٠٠ نسخة
المطبعة:...... مطبعة مجمع أهل البيت ^ النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}

الانبياء:٥٠

للانتظار علاقة عضوية وشيجة بالحركة، فهي مـن نتائجـه، وهـو مـن عواصـمها. وسـوف نبحث، إن شاء الله، أولاً في علاقته بها، وثانيـاً في علاقتهـا بـه. فـي هـذه الرسـالة علـى نحـو الإجمال.

علاقة الانتظار بالحركة

التوجيه النفسي لمسألة الانتظار

يحبُّ بعض الناس أن يصوِّروا حالة «الانتظار» بأنّها مسألة نفسية نابعة من حالة الحرمان في الطبقات المحرومة في المجتمع والتاريخ، وحالة الهروب من الواقع المثقل بالمتاعب إلى الاستغراق في تخيّل المستقبل، الذي يتمكن فيه المحرومون من استعادة جميع حقوقهم واستعادة السيادة والحقوق المغتصبة، وهذا نوع من «أحلام اليقظة»، أو الهروب من الواقع إلى التخيُّل.

المناقشة:

ولمناقشة التّوجيه المقدّم أقول: إنّ هذا التوجيه لمسألة الانتظار غير علمي بالتأكيد، إذا قدّر لنا أن ننظر في تاريخ المسألة والمساحة الواسعة التي تحتلّها من العقائد الدينية المعروفة في تاريخ الإنسان.

الانتظار في المدارس الفكريّة (غير الدينية)

تتجاوز مسألة الانتظار الدائرة الدينية وتعمّ المذاهب والاتجاهات غير الدينية كالماركسية مثلاً، كما يقول برتراند راسل: «الانتظار لا يخصّ الأديان فحسب، بل المدارس والمذاهب أيضاً تنتظر ظهور منقذ ينشر العدل ويحقّق العدالة».

والانتظار، كما يقول راسل، عند الماركسيين، هو الانتظار نفسه عند المسيحيين.

وللانتظار، عند «تولستوي» المعنى نفسه الموجود عند المسيحيين، إلاّ أن هذا الروائيّ الروسيّ يختلف عن المسيحيين في الزاوية التي يطرح منها المسألة.

الانتظار في الأديان السابقة على الإسلام

نقرأ، في العهد القديم من الكتاب المقدّس: «لا تقلق لوجود الأشرار والظالمين فسوف تنقطع سلالة الظالمين، والمنتظرون لعدل الله يرثون الأرض والذين لعنوا يتفرقون، والصالحون من الناس هم الذين يرثون الأرض ويعيشون فيها

إلى نهاية العالم»[١].

وهذه الحقيقة التي يقرّرها المزمور ٣٧، من كتاب المزامير، هي التي جاءت في القرآن الكريم: **{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}**[٢].

الانتظار عند المسلمين (من أهل السُنة)

ولا يختصّ انتظار «المهدي المنقذ عليه السلام»، بالشيعة، فقد تواترت روايات المهدي # من طرق السُنّة بأسانيد صحيحه ومستفيضة لا يمكن التشكيك فيها كما وردت من طرق الشيعة الإمامية.

يقول عبد الرّحمن بن خلدون، من علماء القرن الثامن الهجري، وصاحب المقدّمة الشهيرة لكتاب «العِبَر...»: «اعلم أنّ المشهور من الكافّة، من أهل الإسلام، على مرّ الأعصار،

(١) الكتاب المقدّس، سفر مزامير داود، مزمور ٣٧.
(٢) الأنبياء: ١٠٥.

أنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيّد الدين ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، يستولي على الممالك الإسلامية ويسمّى بـ «المهدي»، ويكون خروج الدجّال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأنّ عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجّال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتمّ بالمهدي في صلاته»[1].

ويقول الشيّخ عبد المحسن العبّاد، المدرّس بالجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة، في بحث قيِّم له: «إثر حادث الحرم المؤلم حصلت بعض التساؤلات، فأوضح بعض العلماء، في الإذاعة والصحف، صحة كثير من الأحاديث الواردة عن رسول الله 2 ، ومنهم الشّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئيس إدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد كتب في بعض الصحف مثبتاً ذلك بالأحاديث الصحيحة المستفيضة عن رسول الله 2 . ومنهم الشيّخ عبد العزيز بن صالح إمام وخطيب المسجد النّبويّ».

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ٣١١.

ثُمَّ يذكر أنّه كتب هذه الرسالة موضّحاً أنّ القول بخروج المهدي آخر الزمان تدل عليه الروايات الصحيحة، وهو ما عليه العلماء من أهل السنّة في القديم والحديث إلاّ ما شذّ[١].

ويقول ابن حجر الهيثمي، في الصواعق المحرقة، في قوله تعالى: {**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرونَّ بِهَا...**}[٢]، قال مقاتل ومن تبعه من المفسرين:

(إنّ هذه الآية نزلت في المهدي).

وستأتي الأحاديث المصرّحة بأنّه من أهل البيت النّبويّ ـ وحينئذ ـ ففي الآية دلالة على البركة في نسل فاطمة وعليّ رضي الله عنهما، وأنّ الله ليخرج منهما كثيراً طيّباً، وأن يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة، ومعادن الرّحمة. وسِرُّ ذلك أنّ النبيّ 2 أعاذها وذريّتها من الشّيطان الرّجيم، ودعا لعليّ عليه السلام بمثل ذلك)[٣].

---

(١) مجلّة الجامعة الإسلامية، العدد ٤٥.

(٢) الزخرف: ٦١.

(٣) ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة ١: ٢٤٠.

ويقول الشّيخ ناصر الدين الألباني من شيوخ الحديث المعاصرين في مجلة «التمدّن الإسلامي»:

«أمّا مسألة المهدي فليعلم أنّ في خروجه أحاديث كثيرة صحيحه. قسم كبير منها له أسانيد صحيحة وأنا مُورِد هنا أمثله منها»، ثُمَّ يذكر طائفة من هذه الأحاديث.

أحاديث الانتظار عند الشيعة الإماميّة

أمّا حديث انتظار الإمام المهدي # عند الشيعة الإماميّة فهي كثيرة، متواترة، وردت طائفة منها بطرق صحيحة.

وقد جمع بعض العلماء هذه الأحاديث في منهج علمي قيّم، منهم: الشّيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني في كتابه القيّم «منتخب الأثر» ومنهم الشيخ عليّ الكوراني في موسوعة الإمام المهدي[١]وغيرهما.

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي، تأليف الهيئة العلمية في مؤسسة المعارف الإسلاميّة إشراف الشيخ عليّ الكوراني، نشر مؤسسة المعارف الإسلاميّة، ط١ (١٤١١ هـ)، قم، مطبعة بهمن.

ولسنا الآن بصدد استعراض هذه الروايات عن أي من الطريقين.

فليس موضوع دراستنا هذه دراسة الأحاديث الواردة في الإمام المهدي # ومناقشة هذه الروايات من حيث السّند والدلالة، وإنّما نطلب في هذه الدراسة أمراً آخر نسأله تعالى أن يوفقنا له، ونترك مسألة الأحاديث الواردة في الإمام المهدي إلى مجالها المخصّص من كتب الحديث.

ما هو الانتظار؟ وما قيمته الحضاريّة؟

والمسألة التي نريد أن نتحدّث عنها، هنا، إن شاء الله هي: ما هو الانتظار؟ وما قيمته الحضارية؟

الانتظار مفهوم إسلامي وقيمة حضارية: وعلى هذا المفهوم يترتب سلوك حضاريّ معيّن، فقد يفهم الناس الانتظار بطريقة سلبية يتحوّل فيها هذا المفهوم إلى عامل للتخدير والإعاقة عن الحركة.

وقد يفهم بطريقة إيجابية تجعل منه عاملاً من عوامل التحريك والبعث والإثارة في حياة الناس.

إذن لابدّ لنا من أن نقدّم تصوّراً دقيقاً لمسألة الانتظار، وهذه هي مهمتنا الأساسية في هذه الدراسة.

الانتظار ثقافة ومفهوم حضاري يدخل في تكوين عقليتنا، وأُسلوب تفكيرنا، ومنهج حياتنا، ورؤيتنا إلى المستقبل، وبشكل فاعل ومؤثر، وله تأثير في رسم الخط السياسي الذي نرسمه لحاضرنا ومستقبلنا.

وللانتظار عمق حضاري في حياتنا يقرب من ألف ومئة سنة لأنّ الغيبة الصغرى انتهت سنة (٣٢٩ هـ)، وقد مرّ على هذا التاريخ ألف وتسعون سنة تقريباً.

وخلال هذا التاريخ دخلت هذه المسألة في صياغة عقليتنا السياسية والحركية بشكل مؤثّر. ولو قمنا ـ نظريّاً ـ بعمليّة تجريد لتاريخنا السياسي والحركي عن عامل «الانتظار» لكان لهذا التاريخ الطويل شأن آخر.

والذي يقرأ «دعاء الندبة» الذي يدأب عليه المؤمنون أيام الجمعة يعرف عمق هذه المسألة ونفوذها في نفوس المؤمنين وعقليتهم ومنهجهم في التفكير والحركة.

أنحاء الانتظار

الانتظار على نحوين:

النحــو الأوّل مـن الانتظـار الانتظـار الـذي لـيس بوسـع الإنسان أن يقدّمه أو يؤخّره، كما لو كان الغريق ينتظر وصول فريق الإنقاذ إليه من الساحل ويراهم مقبلين إليه لإنقـاذه. فـإنّ من المؤكد أنّ الغريق لا يستطيع أن يقدّم وصول فريق الإنقـاذ إليـه، إلاّ أنّـه مـن المؤكـد أيضـاً أنّ هـذا الانتظـار يبعـث فـي الغريق نفسه أملاً قويـاً فـي النجـاة، ويـدخل نـور الأمـل علـى ظلمات اليأس التي تحيط به من كلّ جانب.

و«الأمـل» يمـنح الإنسـان «المقاومـة» بالضـرورة، فيواصـل الغريق المقاومة حتّى يصـل فريـق الإنقـاذ إليـه. وعجيـب أمـر هذا الإنسان إذا انهار، وإذا قاوم.. فإذا انهار لا يتمكن أحد مـن أن يثبته، أو يبني ويعيد مـا ينهـار منـه. وقـد يكـون هـذا الـذي ينهار كيان سياسي ضخم، ولـيس فـرداً أو جماعـة، وكلّنـا قـد شاهد في وقت قريـب انهيـار الاتحـاد السـوفيتي، ثـاني أعظـم كيانين سياسيين في العالم، إن لم يكن الأوّل المكرّر منهما.

وإذا قـاومَ الإنسـان ورزقـه الله القـدرة علـى المقاومـة والصمود، فلا يفتّ شيء في مقاومته وصموده ولا يُضعف شيء ثباته ومقاومته. ومن عجب أن يتحول هذا الإنسان الكائن من لحم ودم وأعصاب إلى كتلة مرصوصة وقوية يتحمّل من العذاب ما يتفتّت منه صلب الحديد. ولا شكّ في أنّ هذه المقاومة من الله تعالى، ولا شكّ في أنّ «الأمل» من أسباب هذه المقاومة، وهاتان معادلتان لا سبيل للتشكيك فيهما.

المعادلة الأُولى:

إنّ «الانتظار» يبعث على «الأمل»، ويخترق ظلمات اليأس التي تكتنف حياة الإنسان.

المعادلة الثانية:

إنّ «الأمل» يمنح الإنسان «المقاومة».

النحو الثاني من الانتظار ما يستطيع الإنسان أن يقرّ به ويبعده، كالشفاء من المرض وإنجاز مشروع عمراني أو علمي أو تجاري، والانتصار على العدوّ والتخلص من الفقر،

فإنّ كلّ ذلك من الانتظار، وأمر تعجيل هذه الأُمور أو تأخيرها وتأجيلها بيد الإنسان نفسه.

فمن الممكن أن يعجّل بالشفاء ومن الممكن أن يؤخّره أو ينفيه، ومن الممكن أن يعجّل بالمشروع التجاري أو العمراني أو العلمي أو يؤخّره، أو يلغيه رأساً. ومن الممكن أن يعجّل بالنصر والغنى أو يؤخرهما أو ينفيهما رأساً.

وبهذا التقرير يختلف أمر هذا الانتظار عن النحو الأوّل الذي تحدّثنا عنه، فإنّ بإمكان الإنسان أن يتدخّل في تحقيق ما ينتظره والإسراع به أو تأجيله أو إلغائه.

ولذلك فإنّ الانتظار من النوع الثاني يمنح الإنسان بالإضافة إلى «الأمل» و «المقاومة»: «الحركة». وهذه الأخيرة، أعني «الحركة»، تخصُّ هذا النحو من الانتظار، فإنّ الإنسان إذا عرف أنّ نجاته وخلاصه يتوقّفان على حركته وعمله وجهده سوف يبذل لخلاصه ونجاته في عمله من الجهد والحركة ما لا قِبل له به من قبل.

ففي الانتظار، من النحو الأوّل، لم يكن بإمكان الإنسان

غيـر «الأمـل» و «المقاومـة». أمّـا الانتظـار الأخيـر فهـو يمـنح الإنسان بالإضافة إلى «الأمل» و«المقاومة» «الحركة» أيضاً.

١ ـ أمل في الـنفس يُمكّـن الإنسـان مـن اختـراق الحاضـر ورؤيـة المسـتقبل، وشـتان بـين مَـنْ يـرى «الله» و «الكـون» و «الإنسان» من خلال معاناة الحاضر فقط وبـين مَـنْ يـرى ذلـك كلّه من خلال الماضي والحاضر والمستقبل. ولا شـكّ فـي أنّ هذه الرؤية تختلف عن تلك ولا شكّ فـي أنّ العُتمـة والظلمـة والسلبية التي تكتنف الرؤية الأُولى تسلم منها الرؤية الثانية.

٢ ـ ومقاومة تمكّن الإنسان من مواصـلة الصـمود ومقاومـة الانهيار والسقوط حتّى وصول المـددّ، ومـا لـم يكـن للإنسـان أمل في وصول المددّ فإنّه لا يقاوم.

٣ ـ وحركة تمكّن الإنسان من تحقيـق الخـلاص والنجـاة، وتحقيق القوة والغنى والكفـاءة. وهـذا الانتظـار هـو «الانتظـار الحركي»، وهو أفضل أنـواع الانتظـار، والانتظـار الـذي نحـن بصدد دراسته من هذا النوع الأخير.

آلية التغيير

وهـذا الانتظـار يشـبه توقُّـع النـاس مـن الله تعـالى أن يغيّـر أُمورهم من السيِّئ إلى الحسن، ومـن الفقـر إلـى الغنـى، ومـن العجز إلى الكفاءة، ومن الهزيمة إلى النصر. ولا شـكّ فـي أنّـه توقُّع صحيح وعقلاني، فإنّ الإنسان ركام من الضعف والعجـز والفقر والجهل والسوء.

والله تعالى هو المؤمَّل ليغيّر ذلك كلّه، ويحوّلـه إلـى القـوّة والكفاءة والغنى والعلم والحسن. وليس من بأس على الإنسان من هذا التوقّع والانتظار من الله تعالى ولكن بشـرط أن يسـلك الإنسان لتحقيق هذا الانتظار الآلية المعقولة التي دعـا إليهـا الله تعالى لهذا التغيير، فإنّ هذا التغيير من جانب الله تعـالى لاشـكّ في ذلك، ولكن ضمن آليـة معينـة، ومـا لـم يسـتخدم الإنسـان هذه الآلية، فـلا يصـحّ لـه أن يتوقّـع أو ينتظـر هـذا التغييـر مـن جانب الله تعالى. وهذه الآليـة هـي أن يبـدأ الإنسـان بتغييـر مـا بنفسه حتّى يُغيّر الله تعالى ما به.

إنّ مـا بنـا مـن التخلُّـف الاقتصـادي والهزيمـة العسـكرية

والتخلُّف العلمي وسوء الإدارة... ناشئ عمّا بأنفسنا من الإشكالية والضعف والكسل واليأس، وفقدان الجرأة والشجاعة والجهل...

فإذا غيرّنا «ما بأنفسنا» غيّر الله تعالى ما بنا من دون شكّ. وليس من شكّ في أنّ الله تعالى هو وحده الذي غيّر ما بنا.

كما ليس من شكّ في أنّنا لو لم نغيِّر ما بأنفسنا لا يغيّر الله ما بنا إلاّ إنْ شاء الله، وهاتان حقيقتان تأبيان النقاش والتشكيك. وانتظار التغيير من الله تعالى حقّ ليس فيه شكّ، ولكن على أن يقترن هذا الانتظار بالحركة والفعل من ناحية الإنسان، وهذا هو الانتظار الحركي في توضيح ثان.

الانتظار «حركة» وليس «رصداً»

إنّ من الخطأ أن نفهم الانتظار على أنّه رصد سلبي للأحداث المتوقّعة من دون أن يكون لنا دور فيه سلباً أو إيجاباً، كما نرصد خسوف القمر وكسوف الشمس، فالتفسير الصحيح للانتظار أنه «حركة» و«فعل» و «جهاد» و «عمل»، وسوف ندخل إن شاء الله في تفاصيل هذا البحث.

ما هو السبب في تأخير (الفرج)؟

على الاجابة الصحيحة على هذا السؤال يتوقّف فهم المعنى الصحيح للانتظار، وهل هو بمعنى «الرصد» أو «الحركة»؟

الرأي الأوّل: إذا كان السبب في تأخير الفرج بظهور الإمام # وثورته الكونيّة الشاملة هو أن تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، فلابدّ من أن يكون الانتظار بمعنى «الرصد»، فلا يجوز لنا أن نوسّع رقعة الظلم والجور في الأرض، ببداهة الإسلام.

ولا يصح لنا أن نكافح الظلم والجور لأنّ ذلك يؤدي إلى إطالة زمن الغيبة، بموجب هذه الرواية.. فلابدّ من أن نرصد إذن تطوّر الظلم والجور في حياتنا السياسية والاقتصادية والعسكرية والقضائية، حتى إذا امتلأت الأرض ظلماً وجوراً ظهر الإمامعليه السلام، وأعلن الثورة ضد الظالمين والفرج عن المظلومين.

الرأي الثاني: وإذا كان السبب في تأخير الفرج هو عدم وجود الأنصار الذين يُعدِّون المجتمع لظهور الإمام والذين

يوطّئون الأرض ويمهّدونها لثورته الشاملة، ويدعمون ثورة الإمام ويسندونها، فإنّ الأمر يختلف. فلابدّ من العمل والإعداد والتوطئة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإقامة سلطان الحقّ على وجه الأرض ليأتي الفرج بظهور الإمام # . وبناءً عليه لا يكون الانتظار بمعنى «الرصد» بل بمعنى «الحركة»، والعمل، والجهاد لإقامة سلطان الحقّ على وجه الأرض؛ الأمر الذي يقتضي إعداد مَنْ يوطئ الأرض لظهور الإمام وثورته الشاملة.

ويختلف معنى الانتظار سلباً وإيجاباً بين «الرصد» و«الحركة» بناءً على هذا الفهم لظهور الإمامعليه السلام وظهور الفرج على يده.

ونحن نناقش الآن هذه المسألة لنصل إلى الجواب الصحيح.

نقد الرأي الأوّل

لنا مجموعة ملاحظات على الرأي الأوّل، وهي:

١ ـ ليس معنى أن تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً هو أن يجفّ نبع التوحيد والعدل على وجه الأرض، ولا تبقى رقعة

يعبد الناس عليها الله تعالى، فهذا أمر مستحيل وعلى خلاف سُنن الله تعالى...

وإنّما المقصود بهذه الكلمة طغيان سلطان الباطل على الحقّ في الصراع القائم بين الحقّ والباطل دائماً.

٢ ـ ولا يمكن أن يزيد طغيان سلطان الباطل على الحقّ أكثر ممّا هو عليه الآن. فقد طغى الظلم على وجه الأرض شرّ طغيان.

وأنّ الذي يجري في بلاد البلقان على مسلمي البوسنة والهرسك بأيدي الصرب أمرٌ يقلُّ نظيره في تاريخ الظلم والإرهاب، ولطالما شقّ الصرب بطون النساء الحوامل، وأخرجوا من أرحامُهنَّ الأجنّة، وقتلوا الأطفال الصغار، وقطّعوا رؤوسهم، ولعبوا بها «لعبة الكرة» أمام أعين آبائهم وأُمّهاتهم.

وفي الشيشان يذبح الروس أطفال المسلمين، ويقدّمون لحومهم طعاماً للخنازير.

والظلم الذي مارسه الشيوعيون على مسلمي بلاد آسيا

الوسطى إبّان الحكم الشيوعي أمرٌ تقشعرّ له الجلود.

وما يجري على المسلمين في سجون إسرائيل من العذاب الوحشي أمرٌ فوق حدود التعبير. وفوق ذلك كلّه وأعظم منه، ما جرى ويجري في العراق من ظلم وتصفية وإبادة وتعذيب واضطهاد للمؤمنين على يد جلاوزة البعث من فئة صدام، ممّا لا يقوى على وصفه التعبير.

... أقول إنّ الذي يجري من الظلم في أقطار العالم الإسلامي على المسلمين، في كلّ مكان تقريباً، أمر رهيب يدلّ على شيء أكثر من الظلم والجور ومن «امتلاء الأرض ظلماً وجوراً»، إنّه يدلّ، ومن دون مؤاخذة، على نضوب نبع الضمير في الأُسرة الدولية المعاصرة، وفي الحضارة البشرية المادية المعاصرة.

ونضوب الضمير مؤشّر خطر في تاريخ الإنسان يعقبه دائماً السقوط الحضاري الذي يعبّر عنه القرآن بـ «هلاك الأُمم».

و«الضمير» حاجة أساسية ورئيسية للإنسان، وكما لا يمكن أن يعيش الإنسان من دون «الأمن»، ومن دون «الطبّ

والعلاج»، ومن دون «الغذاء»، ومن دون «النظام السياسي»، ومن دون «العلم»، كذلك لا يمكن أن يعيش من دون الضمير، ومتى آل أمر هذا النبع إلى النضوب، فإنّ السقوط الحضاري هو النتيجة الطبيعية لهذه الحالة، وبعد السقوط يأتي قانون «الاستبدال» و «التبديل» و «الإرث»، وهذه هي حالة قيام ثورة الإمام﵇ الكونية وقيام الدولة العالمية الشاملة.

٣ ـ وقد كانت غيبة الإمام﵇ بسبب طغيان الشرّ والفساد والظلم، ولولا ذلك لم يَغِب، فكيف يكون طغيان الفساد والظلم سبباً لظهور الإمام﵇ وخروجه؟

٤ ــ وبعكس ما يتوقعه بعض الناس يتّجه العالم اليوم باتجاه سقوط المؤسسات السياسية والعسكرية والاقتصادية الظالمة. فقد شاهدنا بأعيننا كيف سقط الاتحاد السوفيتي خلال بضعة أشهر، وكان مثله مثل بناء خاو، منخور من الداخل لم يتمكن أحد من دعمه وإسناده عند سقوطه.

ورياح التغيير اليوم تهب على أمريكا وتعرّضها لهزّات

عنيفـة وقويّـة فـي اقتصـادها وأمنهـا وأخلاقهـا ومصـداقيتها، بوصفها دولة كبرى.

إنّ النظـام الجـاهلي اليـوم آخـذ بالعـدّ العكسـي مؤذنـاً بالسقوط والانهيار، فكيـف نتوقـع أن يـزداد هـذا النظـام قـوّة وشراسة وضراوة؟

٥ ـ على أنّ الذي يوجد في نصوص الغيبـة: «يمـلأ الأرض عدلاً كما ملئـت ظلمـاً وجـوراً». ولـيس «بعـد أن مُلئـت ظلمـاً وجوراً».

وليس معنى ذلك أنّ الإمام ينتظر أن يطغى الفساد والظلـم أكثـر ممّـا ظهـر إلـى اليـوم ليظهـر، وإنّمـا معنـى الـنصّ أنّ الإمامعليه السلام إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً، ويكافح الظلم والفسـاد فـي المجتمع، حتّـى يطهّـر المجتمـع البشـري منـه كمـا امـتلأ المجتمع البشري بالظلم والفساد من قبل.

روى الأعمش، عن أبي وائل، أنّ أميـر المـؤمنينعليه السلام قـال في المهديعليه السلام: «يخرج على حين غفلة من الناس وإقامة من

الحقّ وإظهار من الجور، يفرح لخروجه أهلُ السماء وسكانها، ويملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً»[١] وفي رواية أُخرى: «يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً»[٢].

وفي رأيّي أنّ معنى جملة: «كما ملئت ظلماً وجوراً» أن يكثر الظلم والجور حتّى يضجّ الناس منه، ويفقد الظلم غطاءه الإعلامي الذي يخرجه للناس إخراجاً حسناً، فيبرز للناس في صورته الحقيقية، وتفشل هذه الأنظمة في تحقيق ما تعد الناس به من خير، ويبدأ الناس بعد هذا الإحباط الواسع بالبحث عن النظام الإلهي الذي ينقذهم من هذه الإحباطات، وعن القائد الربّاني الذي يأخذ بأيديهم إلى الله تعالى. وقد بدأت تتعاقب الإحباطات المتوالية في حياة الناس واحدة بعد أُخرى، وكان أعظم هذه الإحباطات سقوط الاتحاد السوفيتي والهزات العنيفة التي تعرّضت لها أمريكا في السنوات

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي ٥١: ١٢٠.

(٢) منتخب الأثر: ١٦٢.

الأخيرة، وكلّ واحد من هذه الإحباطات يوجّه الناس إلى النظام الإلهي والقائد الربّاني المنقذ.

هذا، على نحو الإجمال نقد الرأي الأوّل في أسباب تأخير الفرج. والآن نبحث في الرأي الثاني.

الرأي الثاني

يعتمد الرأي الثاني، في فهم أسباب تأخير الفرج وتأخير ظهور الإمام، الأسباب الموضوعية، وفي مقدمتها عدم وجود العدد الكافي من الأنصار من الناحية الكمية، وعدم وجود الكيفية المطلوبة في أنصار الإمام وشيعته من الناحية الكيفية.

إنّ الثورة التي يقودها الإمام ثورة كونيه شاملة، يتولّى فيها المستضعفون والمحرومون الإمامة والقيمومة على المجتمع البشري: {**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**}[1]. يرثُ المستضعفون المؤمنون، في هذه المرحلة، ما كان يتداوله

(١) القصص: ٥.

الطغاة في ما بينهم من السلطان والمال: {**وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**}، ويتم لهم السلطان على وجه الأرض {**وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ**}[١]، ويطهّر الإمام في هذه المرحلة الأرض كلّها من لوثة الشرك والظلم «يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً»، ولا يبقى - كما في طائفة من الروايات - في المشارق والمغارب، أرض لا ينادى فيها بلا إله إلاّ الله.

ومحور هذه الثورة الشاملة «التوحيد» و«العدل». ومثل هذه الثورة لابدّ لها من إعداد واسع، وتوطئة على مستوى عال من الناحيتين الكمية والكيفية، ومن دون هذا الإعداد وهذه التوطئة لا يمكن أن تتم هذه الثورة الشاملة، في سنن الله تعالى في التاريخ.

دور السُنن الإلهية والإمداد الغيبي في ثورة الإمام (ع)

لا تتم الثورة، في مواجهة العُتاة والطغاة والأنظمة

---

(١) القصص: ٦.

والمؤسسات الجاهلية الحاكمة والمتسلّطة على رقاب الناس، من دون إمداد غيبي وإسناد وتأييد من جانب الله بالتأكيد. والنصوص الإسلاميّة تؤكّد وجود هذا الإمداد الإلهي وتصف كيفيته.

إلاّ أنّ هذا المددّ الإلهي أحد طرفي هذه القضية والطرف الآخر هو دور السُّنن الإلهية في التاريخ والمجتمع في تحقيق هذه الثورة الكونية وتطويرها وإكمالها. فإنّ هذه السُّنن لا تتبدّل ولا تتغيّر {**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**}[1]، ولا تعارض المدَدَ والإسناد الإلهيّين. وشأن هذه الثورة شأن دعوة رسول الله 2 إلى التوحيد، والحركة التي نهض بها 2 لتحقيق التوحيد في حياة الناس. فقد كانت هذه الحركة موضع الإمداد الإلهي الغيبي بالتأكيد. ونَصَرَ الله تعالى رسوله 2 بالملائكة المسوَّمين والمردفين والرياح، وجُند لم يروهم، ونَصَرهُ على

(١) الأحزاب: ٦٢.

أعدائه بالرُّعب، ولكنّ الله تعالى أمر رسوله 2 بأن يعد العدّة لهذه المعركة المصيرية: {**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّة**} (١).

وتمّت مراحل هذه المعركة بموجب سنن الله تعالى في التاريخ والمجتمع، ينتصر فيها رسول الله 2 على أعدائه حيناً وينتكس حيناً آخر، ويستخدم الجُند والمال والسلاح في هذه المعركة، ويُخطّط لها، ويفاجئ العدوّ بوسائل وأساليب جديدة للقتال، ويفاجئه في الزمان والمكان، ولا يعارض شيء من ذلك الإمداد الغيبي الإلهي لرسوله 2 الذي لا نشكّ فيه، وهما وجهان لقضية واحدة.

ولا تشذّ الثورة الكونية التي يقودها حفيده عن الدعوة والثورة التي قادها هو 2 ، من قبل، بأمر من الله تعالى.

ومن جملة هذه السُّنن التي لابدّ منها، في هذه الثورة الكونية «الإعداد» و«التوطئة» قبل ظهور الإمام و«النصرة» و

---

(١) الأنفال: ٦٠.

«الأنصـار» حـين ظهـور الإمـامعليه السلام، ومـن دون هـذا الإعـداد والنصرة والتوطئة لا يمكن أن تتم ثـورة بهـذا الحجـم الكبيـر في تاريخ الإنسان.

ونحـن فـي مـا يلـي، نسـتعرض طـائفتين مـن النصـوص، تختصّ أُولاهما بـ «الإعداد والتّوطئـة»، والأُخـرى بــ «الأنصـار والنصرة» لنتأمل فيهما إن شاء الله.

الطائفـة الأُولـى مـن النصـوص هـي النصـوص المتعلقـة بــ «المـوطِّئين»، وهـم الجيـل الـذي يُعِـدّ الأرض والمجتمـع لظهـور الإمـام # ، وثورتـه الكونيـة الشـاملة. وهـذا الجيـل بطبيعته يسبق ظهور الإمامعليه السلام، والطائفة الثانيـة مـن النصـوص تخصّ «الأنصار»، وهم الجيـل الـذي يـنهض بهـم الإمـامعليه السلام. ويقود بهم الثورة على الظالمين. إذن نحن بين يديّ جيلين:

١ ـ جيل «الموطِّئين» الذين يمهّدون الأرض لظهور الإمام.

٢ ـ جيل «الأنصار» الـذين يـنهض بهـم الإمـامعليه السلام، ويثـور بهم على الظالمين. وفي ما يلي نسـتعرض، إن شـاء الله، هـاتين الطائفتين من النصوص.

جيل «الموطِّئين» في النصوص الإسلاميّة

تضافرت طائفة من النصوص الإسلاميّة، من الفريقين (الشيعة والسنّة)، عن جيل الموطّئين الذين يوطّئون الأرض لدولة الإمام المهدي # ، وقد حدّدت هذه النصوص عدداً من الأقاليم الإسلامية المعروفة لهذا الجيل، وأهم هذه الأقاليم التي تخصّ جيل الموطّئين هي: المشرق وخراسان (ويظهر أنّ المشرق هو خراسان) وقم، والري، واليمن، وفي ما يلي النصوص التي تخصّ جيل الموطّئين في هذه الأقاليم.

١ ـ الموطّئون في المشرق

روى الحاكم، في المستدرك على الصحيحين، عن عبد الله بن مسعود، قال: أتانا رسول الله 2 فخرج إلينا مستبشراً يُعرف السرور في وجهه، فما سألناه عن شيء إلاّ أخبرنا به، ولا سكتنا إلاّ ابتدأنا حتّى مرّ فتية من بني هاشم منهم: الحسن والحسين، فلمّا رآهم التزمهم وانهملت عيناه، فقلنا: يا رسول الله، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟

فقال: «إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّه

سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد حتّى ترتفع رايات سودٌ في المشرق، فيسألون الحقّ لا يعطونه، ثُمَّ يسألونه فلا يعطونه، ثُمَّ يسألونه فلا يعطونه -فيقاتلون- فيُنصرون. فمن أدركه منكم ومن أعقابكم فليأت إمام أهل بيتي، ولو حبواً على الثلج، فإنّها رايات هدى، يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

---

(١) راجع المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، كتاب الفتن والملاحم/ حديث رقم ٨٥٦٦ . والمعجم الاوسط للطبراني، حديث رقم ٥٨٦٠ . والمسند الجامع لابي المعاطي النوري ١٢/ ٨١ . وسنن ابن ماجة، حديث رقم ٤٢٢٠، باب خروج المهدي. وجمع الجوامع (الجامع الكبير) للسيوطي حرف الهمزة، حديث رقم ٢٨١٥ وحرف السين حديث رقم ١٣٠٧٨ . والديلمي ٢ / ٣٢٣، حديث رقم ٣٤٧٠. ومسند ابن أبي شيبة (فيما رواه عبد الله بن مسعود) حديث رقم ٣٠٨ . والمصنف في الاحاديث والآثار لابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد حديث رقم ٣٧٧٢٧ ومصادر اخرى. . وقد اعتمدنا في ترقيم الاحاديث برنامج (المكتبة الشاملة.

«كأنّي بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحقّ فلا يعطونه ثُمَّ يطلبونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما شاءوا فلا يقبلونه حتّى يقوموا ولا يدفعونها إلاّ إلى صاحبكم (أي الإمام المهدي عليه السلام)، قتلاهم شهداء»[1].

٢ ـ الموطّئون من (خراسان)

عن محمّد بن الحنفية، ويبدو أنّها عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«ثُمَّ تخرج راية من خراسان يهزمون أصحاب السفياني حتّى تنزل ببيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه»[2].

٣ ـ الموطّئون من (قم) و(الري)

«رجل من قم يدعو الناس إلى الحقّ يجتمع معه قوم

(١) الغيبة للنعماني ١٧١، الباب ١٤ ح ١٢. وبحار الأنوار ٥٢: ٢٤٣، ح ١١٦. والسيوف، في هذا الحديث، تعني السّلاح.

(٢) الروايات بهذا المضمون يرويها المولى علي المتقي الهندي في البرهان ص ١٥١. ورواه الشيخ يوسف المقدسي الشافعي في (عقد الدرر في اخبار المنتظر) ص ١٢٣ .

قلوبهم كزبر الحديد، لا تزلّهم الرياح العواصف، لا يملّون من الحرب ولا يجبنون وعلى الله يتوكّلون والعاقبة للمُتّقين»[١].

٤ ـ الموطّئون من اليمن

عن الإمام الباقر عليه السلام في قيادة اليماني قبل ظهور الإمام:

«وليس في الرايات أهدى من راية اليماني، هي راية هدى، لأنّه يدعو إلى صاحبكم»[٢].

الدلالات

١ ـ الجيل الصلب

وأوّل ما يلفت النظر في هذا الجيل هو الصّلابة والقوّة والاستحكام، فهو جيل صعب، شديد المراس، يوطئ الأرض لظهور الإمام، ويواجه وحده طواغيت الأرض. والإمام

---

(١) بحار الأنوار ٥٧: ٢١٦/ ح ٣٧ . ميزان الحكمة للري شهري ١ / ٢٥٦. أهل البيت في الكتاب والسنة، الري شهري ص ٥٠٠ .

(٢) غيبة النعماني ص ٢٦٤. وغيبة الشيخ الطوسي ٤٤٦/ ٤٤٣. وإعلام الورى ص ٤٢٩. وبحار الأنوار ٥٢: ٢٣٢.

الصادق عليه السلام يُفسّر ـ كما في رواية محمّد بن يعقوب الكُليني ـ قوله تعالى: {**فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْس شَدِيد**}[1]. بهذا الجيل، وتصفهم الرواية بهذا الوصف العجيب: «قلوبهم كزُبر الحديد، لا تزلّهم الرياح العواصف»...

إنّها قلوب ومن طبيعة القلوب اللين والرقة، ولكنّ هذه القلوب تتحول في مواجهة الطغاة والعتاة إلى زبر من الحديد لا تلين ولا ترق. إنّ الصّلابة وبالقوة من خصائص الأجيال التي يحمّلها الله تعالى مسؤولية التغيير، والثورة، ومن خصائص الأجيال التي يضعها الله تعالى في منعطفات التاريخ الكبرى لنقل الناس من مرحلة إلى مرحلة، وهذا الجيل يحمل هذه الخصائص.

٢ ـ جيل التحدّي والتمرّد

ومهمة هذا الجيل هي تحدّي «النظام العالمي» والتمرّد

---

(١) الإسراء: ٥.

عليه، وما أدراك ما النظام العالمي، وكيف صمّم لخدمة القوى الكبرى ومن دار في فلكها، والاحتفاظ بمراكز القوّة والمواقع الاستراتيجية لها في مختلف مناطق الأرض. إنّها مسؤولية شاقّة وعسيرة ودقيقة يتعهّد بها هذا النظام على مستوى العالم كلّه، وليس على مستوى منطقة أو إقليم من الأرض فحسب.

إنّ هذا النظام يتكوّن من مجموعة من المعادلات والموازنات السياسية والاقتصادية والعسكرية والإعلامية الدقيقة، ومن أنظمة أعضاء الأُسرة الدولية ومن مجموعة من الخطوط الحمراء والخضراء والصفراء فيما بين هذه الأنظمة وهذه المجموعة من الاتفاقات والتنازلات وتنظيم الأدوار واقتسام الموارد والأسواق ومصادر الثروة ومناطق النفوذ.

أقول: إنّ هذه المجموعة المعقّدة تمكّن القوى الكبرى من السيطرة على الوضع العالمي، كما تمكّن العتلة الصغيرة الإنسان من حمل الأثقال الكبيرة بحركة خفيفة. ولذلك فإنّ النظام العالمي قبل سقوط الاتحاد السوفيتي، وبعد ذلك، يبقى

أمراً يحترمه الجميع، لأنّ هؤلاء يستفيدون منه كلٌّ بمقدار حجمه وقوّته... وهؤلاء الشباب من جيل الموطّئين يخترقون ببساطة ومن دون تردّد هذه الخطوط الحمراء، ويغيّرون هذه المعادلات والموازنات التي يتفاهم عليها الجميع ويتلقونها بالقبول والاحترام، ويفسدون على هذه الأنظمة والمؤسسات الدولية استقرارها وتوازنها وهيبتها الدولية. ولا سبيل لها على هؤلاء الشباب، ولا تستطيع أن تتحملهم ولا تتمكن من أن تدفعهم. فإنّ أكثر قوة هذه الأنظمة وهيبتها الدولية في مواجهة أنظمة ومؤسسات من مثلها، وأقوى ما تملك من السلاح هو القتل والسجن والتعذيب والمطاردة.

وهؤلاء لا يخافون شيئاً من ذلك ولا يرهبهم شيء من ذلك.

والوصف الموجود في الرواية دقيق. في وصف هذا الجيل:

«لا تزلّهم الرياح العواصف، لا يملّون من الحرب ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمُتّقين».

إنّ الـذي لا يجـبن ولا يمـلّ الحـرب، ولا تزلّـه الريـاح العواصـف بطبيعـة الحـال لا يقهـر ولا يهـزم. وقـوة هـؤلاء وميزتهم أنّهم لا يجبنـون، وهـذه هـي مشـكلتهم فـي حسـاب الأنظمة والقوى الكبرى، وميـزتهم الكبـرى عنـد الله ورسـوله والمؤمنين.

في موسم الانتخابات العامة للرئاسـة الأمريكيـة، فـي عهـد الـرئيس الأمريكـي الأسـبق، جـرى حـوار تلفزيـوني ضـمن النشـاط الإعلامـي الـذي يقـوم بـه عـادة المرشّـحون للرئاسـة الأمريكية، بـين الـرئيس الأمريكـي الأسـبق كـارتر والمرشـح الآخـر المنـافس لـه علـى الرئاسـة، فقـال لـه هـذا الأخيـر: إنّ أمريكا خسرت الكثير من هيبتهـا الدوليـة فـي حـادث تفجيـر مقرّ القوات البحرية الأمريكية في بيروت (المارينز) وتتحمـل أنـت ـ مخاطبـاً الـرئيس الأمريكـي ـ مباشـرة مسـؤولية هـذه الخسارة بالكامل، فقال له الرئيس الأمريكي بالحرف الواحـد: وماذا تراني قادراً أن أفعل في مواجهة إنسان جـاء هـو ليطلـب الموت؟! إنّ أقصـى مـا نـتمكن منـه أن نـردع النـاس بالرّعـب

والإرهاب من أمثال ذلك، فإذا كان الذي يقوم على هذا التفجير هو من يطلب الموت ويلقي بنفسه على الموت فماذا تراني قادراً أن أفعل في ردعه؟ وماذا كنت تفعل أنت لو كنت في مثل موقعي في هذا الظرف؟!

هذه هي بعض ملامح جيل التحدي الذي برز في مواجهة الأنظمة والقوى الكبرى في العراق وإيران وأفغانستان ولبنان وفلسطين والمغرب والجزائر ومصر والسودان، وأخيراً في الشيشان والبوسنة والهرسك.

عجيب أمر هذا الجيل، يسبّ جلاديه ويشتمهم، وهو في قبضتهم وتحت سلطانهم وسياطهم، يصبّون عليه العذاب صبّاً فلا ينثني عن قصده، ولا يلين ولا يئن ولا يصرخ. وإنّ أحدهم ليقول لجلاديه، وهم يعذبونه بما لا يعلم إلاّ الله من فنون التعذيب: سوف أُبقي في نفسك حسرة أن تسمع منّي صرخة تألُّم أو أنين أو توجّع.

٣ ـ ردود الفعل العالمية

وردود الفعل العالمية تجاه هذا الجيل، كما تصرّح به هذه

النصوص، ردود فعل غاضبة وساخطة، لأنّ هذا الجيل يعرّض هذه المعادلات والموازنات لهزّات عنيفة وحقيقية، ولذلك فإنّ ردود الفعل العالمية تجاهه تتّسم بالغضب والسخط دائماً.

روى أبان بن تغلب عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا ظهرت راية الحقّ لعنها أهل الشرق وأهل الغرب. أتدري لم ذلك؟ قلت: لا. قال: للذي يلقى الناس من أهل بيته قبل ظهوره»(١).

وهذا الجيل الذي يتحدى أنظمة الاستكبار العالمي هو الذي يوطئ الارض لظهوره، ويخلق الرعب والقلق والارتباك لهذه الأنظمة والمؤسسات الدولية، ويسلب استقرارها وراحتها.

روى ثقة الإسلام الكليني في الكافي (كتاب الروضة) في تفسير قوله تعالى: {**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْس**

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢٦٢.

شَدِيد...}[١]، عن الإمام الصادق‹ع› قال: «قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون واتراً لآل محمد، إلاّ قتلوه»[٢].

وردود الأفعال العالمية، المذكورة في هذه النصوص، تشبه إلى حدّ كبير ردود الأفعال العالمية اليوم تجاه الصحوة الإسلامية التي يسمونها بـ «الأُصولية الإسلاميّة»، وينعتونها بالإرهاب وبأقسى النعوت.

مشروع التوطئة

التحضير لظهور الإمام (ع)

توطئة الأرض لثورة الإمام # مهمة واسعة وكبيرة، ومعقّدة ينهض بها هذا الجيل في مواجهة عُتاة الأرض وطغاتها المستكبرين وأئمة الكفر.. وهؤلاء العتاة يعدّون جميعاً جبهة سياسية عريضة، رغم كلّ التناقضات القائمة فيما

---

(١) الإسراء: ٥.

(٢) الكافي ٨/ ٢٠٦، ومختصر بصائر الدرجات للحلي ٤٨، وبحار الانوار ٥١/ ٥٦ .

بينهم، وهي جبهة تملك الكثير من أسباب القوة من المال والسلطان السياسي والجيش والإعلام والعلاقات والنُظم، وتستخدم جميع هذه الأسباب في ضرب الصحوة الإسلامية الناشئة وإجهاضها. ولا بدّ لهذا الجيل الذي ينهض بمشروع إعداد الأرض لظهور الإمام من أن يواجه هذه القوّة بالآلية نفسها التي تستخدمها جبهة الاستكبار العالمية وتزيد عليها بالتربية الإيمانية والجهادية والتوعية السياسية. وعليه فإنّ مشروع التوطئة الذي ينهض به جيل الموطئين يتكون من بُعدين:

البُعد الأوّل: التربية الإيمانية والجهادية والتوعية السياسية، وهذا ما تفقده الجبهة المقابلة

البُعد الثاني: الآلية السياسية والعسكرية والاقتصادية والإدارية والإعلامية التي لابدّ منها في مثل هذه المعركة.

وليس من شكٍّ في أنّ الفئة المؤمنة التي تعدّ الأرض لظهور الإمام لابدّ لها من إعداد هذه القوّة، وإن كانت لا تستطيع أن تكافئ الجبهة العالمية المضادة. وهذه الآلية

السياسـية والعسـكرية والاقتصـادية والإعلاميـة لا تتحقـق مـن غير وجود نظام سياسي ودولة علـى وجـه الأرض. وهـذه هـي دولة الموطّئين التي وردت الروايات بالتبشير بها كثيراً، ولابـدّ منها للإعداد لظهور الامام (ع) وللإعداد لثورته الكونية، ومـن دون ذلك لا تتهيأ الأسباب الطبيعية لظهور الإمـام... والإعـداد لهذه القوة يحتاج إلى عمل وحركة في واقع الحيـاة ولا يغنـي «الرصد» و «الانتظار» عنها شيئاً.

جيل الأنصار في الروايات الإسلامية

جيل الموطّئين يسبق جيل الأنصار، وأفراد هذا الجيل هم تلامذة الجيل الذي يسبقهم، ويتميزون منه بمزايا وقيّم يتفرّدون بها. ونحن سوف نستعرض النصوص الواردة في نموذج واحد فقط من هذا الجيل، وهو شباب «الطالقان».

هذه الروايات وردت بأسانيد الفريقين: السنّة والشيعة وطرقهم.

شباب الطالقان

وسوف نستعرض الروايات التي رواها المحدّثون، من السنّة والشيعة، والمتعلّقة بـ «شباب الطالقان».

عن علي عليه السلام، قال: (ويحا للطالقان، فإن لله بها رجال، عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهدي)[1].

---

(١) جامع الاحاديث للسيوطي، مسند علي بن أبي طالب حديث رقم/ ٣٤٩٨٢. وكنز العمال حديث رقم/ ٣٩٦٧٧. ووردت روايات اخرى عن رسول الله (ص) أنه (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها.. وعلى أبواب الطالقان وما حولها ظاهرين على

وعن علي عليه السلام: (بخ بخ للطالقان، فإن لله تعالى كنوز ليست من ذهب ولا فضة، ولكن بها رجال معروفون، عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهدي في آخر الزمان)(١).

روى المجلسي في بحار الأنوار: «له كنز بالطالقان ما هو بذهب ولا فضة، وراية لم تنشر منُذ طويت، ورجال كأنّ قلوبهم زُبر الحديد لا يشوبها شكٌّ في ذات الله أشدُّ من الحجر، لو حُملوا على الجبال لأزالوها. لا يقصدون براياتهم بلدة إلاّ خرّبوها كأنّ على خيولهم العقبان، يتمسّحون بسرج الإمام عليه السلام يطلبون بذلك البركة، ويحفون به يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد فيهم.

رجال لا ينامون الليل يبيتون قياماً على أطرافهم

الحق، لا يبالون من خذلهم ولا من نصرهم حتى يخرج الله كبره من الطالقان فيحيي بهم دينه.. وفي بعض الروايات: حتى ينزل عيسى بن مريم.. أخرجه السيوطي في جامع الاحاديث مسند أبي هريرة. واخرجه ابن عساكر ١ / ٢٥٩. وكنز العمال / ٣٩٧٢٣.

(١) ينابيع المودّة للقندوزي ٣ / ٢٩٨، ط ١٤١٦هـ.

ويُصبحون على خيولهم، رُهبان بالليل ليوث بالنهار. هم أطوع له من الأَمَة لسيّدها، كالمصابيح كأنّ في قلوبهم القناديل وهم من خشيته مشفقون.

يدعون بالشهادة ويتمنون أن يُقتلوا في سبيل الله. شعارهم: يا لثارات الحسين، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالاً، بهم ينصر الله إمام الحقّ»(١).

أصحاب الإمام شباب

والروايات تشير إلى أنّ الغالب من أصحاب الإمام من الشباب ولا يوجد فيهم من الكهول والشيوخ إلاّ نادراً.

روى المجلسي في البحار: «أصحاب المهدي شباب لا كهول، فيهم إلاّ كمثل كحل العين»(٢).

عدد قادة أنصار الإمام

روى المجلسي في بحار الأنوار: «فيجمع الله عليه أصحابه،

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٨.

(٢) المصدر السابق ٥٢: ٣٣٤.

وهم ثلاثمئة وثلاثـة عشـر رجـلاً، ويجمعهـم عليـه علـى غيـر ميعاد فيبايعونـه بـين الـركن والمقـام، ومعـه عهـد مـن رسـول الله 2 قد توارثته الأبناء عن الآباء»(١). وفي أغلـب الروايـات أنّ هذا العدد الذي يبايع الإمام، بين الركن والمقام، هـو عـدد قادة جيش الإمام # .

الدلالات والتأمّلات

ولابــدّ مــن أن نشــير، قبــل أن نــدخل فــي التــأملات والدلالات، إلى أنّ اللغة المألوفة وقت صـدورها لغـة رمزيـة، فالسيوف هي الأسلحة، والخيول هي مراكب القتـال، كمـا أنّ الوصف بـ «رهبان باللّيل ليوث بالنّهار» تعبير رمـزي ومجـازي من العبادة والتهجّد في الليل والشجاعة والجرأة في النهار.

وهذه لغة معروفة لِمَن يألف طريقة التعبيـر فـي النصـوص والروايـات الإسـلاميّة، والآن نبـدأ بالحـديث عـن الـدلالات والتأمّلات في هذه الروايات.

---

(١) بحار الأنوار ٥٣: ٢٣٨ و ٢٣٩.

١ ـ كنوز ليست من ذهب ولا فضّة

أنصار الإمام كنوز، والكنز هو الثروة المخبوءة يجهل الناس مكانها، وقد يكون الكنز في بيت الإنسان وتحت قدميه، ولكنّه يجهله وأنصار الإمام كنوز مُخبّأة، قد يكون أحدهم في بيت أحدنا أو بجواره أو في مدينته، وهو لا يعرفه وقد يزدريه، وتحتقره عيون الناس التي لا تعرف أن تنفذ إلى الأعماق لتعرف الكنوز، إنّ هذه البصيرة واليقين والإقبال على الله والشجاعة والجرأة والذوبان في ذات الله التي يتّصف بها هؤلاء لا تتكون دفعة بل كانت موجودة في نفوس هؤلاء الشباب، إلاّ أنّها كانت خافية عن أعين الناس، كما تختفي الكنوز عن العيون.

٢ ـ القوّة والوعي

يقول تعالى، في صفة عباده الصالحين إبراهيم وإسحاق ويعقوب ^ : {**وَاذْكُرْ عِبَدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى**

الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ}[1]. وهذا من أروع الوصف.

فإنّه لابدّ للبصيرة من قوّة، ومن دون القوّة تضيع البصيرة وتخمد ولا يحمل البصيرة إلاّ المؤمن القوي، فإذا ضعف فقد البصيرة، ولابدّ للقوة من بصيرة، فإنّ القوّة من دون بصيرة تتحول إلى لجاج وعناد واستكبار.

ويصف الله تعالى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ^ بأنهم أُولي (الأيدي) و(الأبصار) أي القوّة والبصيرة.

وتُشير النصوص التي قرأنا طائفة منها قريباً أنّ أنصار المهدي عليه السلام أولو الأيدي والأبصار.

٣ ـ الوعي والبصيرة

وتعبير الرواية عن حالة الوعي والبصيرة لدى أنصار الإمام، تعبير عجيب «كالمصابيح، كأنّ في قلوبهم القناديل» وهل يمكن أن يخترق الظلام القنديل؟ قد يحاصر الظلام

---

(١) سورة ص: ٤٥ ـ ٤٧.

القناديل ولكنّه لا يستطيع أن يخترقها.

وأنصار الإمام لا ينفذ إلى نفوسهم ووعيهم الشكّ والريب، مهما تكاثفت ظلماتهما ومهما تعاقبت الفتن. لذلك لا يدخلهم الشكّ ولا يتردّدون ولا يتراجعون ولا ينظرون وراءهم إذا مضوا في الطريق، والتعبير في الرواية: «لا يشوبها شكّ في ذات الله» هو أمر غير الشكّ، إنّه خليط من الشكّ واليقين، أو لحظات من الشكّ تخترق حالات اليقين ولا تثبت لليقين الذي يهزمها، وهذا أمر يحصل للكثير من المؤمنين، إلاّ أنّ أنصار الإمام لا يشوب يقينهم شكّ، يقين خالص من دون شائبة من الشكّ والريب.

٤ـ عزم نافذ

وهذه البصيرة تمنحهم عزماً نافذاً لا تردّد ولا تراجع فيه، والتعبير عن هذا العزم بـ «الجمر» تعبير رائع ومُعبّر، فإنّ الجمر ينفذ ويخترق ما دام ملتهباً، والتعبير هكذا «أشدّ من الجمر» وهو أروع تعبير أعرفه عن نفوذ العزم، ولستُ أدري ماذا أودعَ الله تعالى في نفوس شباب الطالقان من كنوز الوعي

واليقين والعزم والقوّة، فإنّ التعبيرات الـواردة فـي هـذا الـنصّ تعابير غير مألوفـة كـأنّ الحـديث عـنهم حـديث وَجـدٍ وهيـام «زُبر الحديد، كالمصابيح، كأنّ في قلوبهم القناديل، أشدّ مـن الجمر، رهبان باللّيل ليوث بالنّهار» وكأنّ الـنصّ يسـتفرغ كـلّ ما في وسع اللغة ليتمكن من التعبير عن وعـي هـؤلاء الشـباب وبصيرتهم وقوتهم ونفوذ عزمهم.

٥ ـ القوّة

ويصف النصّ شباب الطالقان بقوة هائلة لا عهد لنا بها فـي مَنْ نعرف من الشباب. تأمّلوا هذه العبـارة: «كـأنّ قلـوبهم زُبـر الحديد».

أرأيت أحداً يتمكّن مـن أن يصـهر أو يكسـر أو يلـين زُبـر الحديـد بقبضـة يـده؟ «لـو حملـوا علـى الجبـال لأزالوهـا، لا يقصـدون برايـاتهم بلـدة إلاّ خرّبوهـا كـأنّ علـى خيـولهم العقبان».

هذه تعابير عجيبة تنبئ عن قوة هائلة، وهـذه القـوة ليسـت من نوع القوة التي يملكهـا طواغيـت الأرض، وإنّمـا هـي قـوة

عزم وإرادة وقوّة يقين.

٦ـ الاستماتة وحبّ الشهادة

«يـدعون بالشـهادة ويتمنّـون أن يُقتلـوا فـي سـبيل الله». إنّ الموت الذي يرعب الشيوخ فـي التسـعينات، وبعـد المئـة مـن أعمارهم، وقد فقدوا جميع لذات الحياة وشهواتها...

أقول: إنّ المـوت الـذي يرعـب الشـيوخ يهـيم بـه هـؤلاء الشباب وهم في غضاضة العمر.

وحـبّ الشـهادة ينبع مـن أمـرين ويُنـتج أمـرين فـي حيـاة الناس.

أمّا الأمران اللّـذان همـا مصـدر حـبّ الشـهادة فـي الـنفس فهما الإعراض عن الدنيا والإقبال على الله، فإذا كافح الإنسـان حبّ الدنيا في قلبه وأزال منه التعلّـق والاغتـرار بهـا فقـد قطـع الشوط الأوّل من الطريق وهو أشقّ الشوطين.

والشوط الآخر هو أنْ يتعلق القلب بحبّ الله تعـالى ويهـيم بـذكره وحبّـه، وينصـرف صـاحبه إلـى الله تعـالى بكـلِّ قلبـه ووجهه، وهؤلاء لا يهمهم من أمـر الـدنيا شـيء، يعيشـون مع

الآخرين في الدنيا ويحضرون معهم الأسواق والاجتماعات غير أنّهم غائبون عنها بقلوبهم، ويصدق فيهم الحاضر الغائب.

هؤلاء المستميتون الذين يُحبّون الموت الذي يُخيف الناس، ويدعون بالشهادة ويجدون فيها لقاء الله، ويشتاقون إليها، كما يشتاق الناس إلى لذاتهم في الدنيا، أو أعظم من شوق الناس إلى لذاتهم من الدنيا.

وقليل من الناس مَن يفهم هؤلاء. أمّا الناس في الغرب فلا سبيل لهم إلى أن يفهموهم.. فهم يصفونهم حيناً بالانتحاريين، والمنتحر هو الذي يملُّ الدنيا وينتهي فيها إلى طريق مسدود، وهؤلاء الشباب يجدون أبواب الدنيا أمامهم مفتوحة، تضحك لهم الدنيا وتطلّ عليهم بكلّ بهجتها وزينتها وإغرائها. فلم يملّوا الدنيا لم يصلوا فيها إلى طريق مسدود، وإنّما أعرضوا عنها، لأنّهم اشتاقوا إلى لقاء الله.

ويصفونهم بالإرهاب، وهؤلاء ليسوا بإرهابيين، ولو قالوا: إنّهم لا يخافون الإرهاب لكانوا أقرب إلى الواقع.

وهذان هما مصدر حبّ الشهادة والقتل في سبيل الله.

أمّا الذي ينتج عن حبّ الشهادة فهو العزم والقوّة، إنّ المُستميت الذي تمكّن من أن يُحرّر نفسه من الدنيا يجد في نفسه من العزم والقوّة ما لا يجده سائر الناس.

وهذان، أي العزم والقوّة، لا علاقة لهما بما في أيدي الناس من الجبهة الأُخرى من أسباب القوّة المادية، من دون أن ننفي ضرورة تلك الأسباب وأهميتها في ظهور الإمام وقرب الفرج.

٧ـ تعادل الشخصية

«ليوث باللّيل رهبان بالنهار». من أبرز معالم هذا الجيل التعادل في الشخصية، وهذا سرّ قوّتهم ونفوذهم، تعادل بين الدنيا والآخرة. وتعادل بين القوّة والبصيرة. وتعادل بين قيام الليل بين يدي الله في ظلمات الليالي وخوض الصراع المرير مع أئمة الكفر والاستكبار في النهار. والله تعالى يحبُّ هذه الموازنة والتعادل، ويكره الإفراط والتفريط والجنوح إلى اليمين واليسار. يقول تعالى: **{وَابْتَغِ فِيمَآ آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ**

الأْخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا }[١].

ويقول تعالى في ما يعلّمنا من الدعاء: {**رَبَّنَآ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الأْخِرَةِ حَسَنَةً }**[٢].

ويقول تعالى: {**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا }**[٣].

ومن هذه الموازنة التعادل بين الخشوع والعبودية لله والتذلّل للمؤمنين والصرامة والقوة مع الكافرين: {**أَذِلَّة عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّة عَلَى ا لْكَافِرِينَ }**[٤].

ومن هذه الموازنة التعادل بين الاتّكال على الله والجهد والعمل والتخطيط. ويصف أمير المؤمنين عليه السلام لهمّام & ، كما في رواية الشريف الرّضي، أطرافاً من هذه الموازنة والتعادل في شخصية «المُتّقين»، فيقول:

---

(١) القصص: ٧٧.

(٢) البقرة: ٢٠١.

(٣) الإسراء: ٢٩.

(٤) المائدة: ٥٤.

«فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وتجمّلاً في فاقة، وصبراً في شدّة.

يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، ويبيت حذراً ويصبح فرحاً، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل. في الزلازل وقور، وفي الرخاء شكور، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة»[١]. وهذه الموازنة من الملامح الواضحة في شخصية أنصار الإمام.

٨ ـ رهبان باللّيل ليوث بالنهار

وإلى هذه الموازنة تشير الرواية «رهبان باللّيل ليوث بالنّهار». وللّيل والنهار دوران مختلفان في بناء شخصية الإنسان. ولكنّ هذين الدّورين متكاملان يكمّل أحدهما الآخر ولا بدّ منهما معاً في بناء شخصية الإنسان المؤمن الداعية والمجاهد، فلولا قيام اللّيل لم يثبت الإنسان في

(١) نهج البلاغة، خطبة المتّقين.

مواجهة العقبات الصعبة في النهار، ولـم يـتمكن مـن مواصـلة الحركة علـى طريـق ذات الشـوكة فـي النهـار. ولـولا حركـة النهار لعزل اللّيل صاحبه من القيام برسالة الدعوة إلـى الله فـي وسط المجتمع، وفقد الإنسان دوره الثاني في الحياة الدنيا بعـد عبودية الله، وهو الدعوة إلى عبودية الله.

وفـي القـرآن تأكيـد علـى دور الليـل فـي إعـداد الإنسـان للدعوة إلى الله، واهتمام به. ومـن أوائـل مـا نـزل علـى رسـول الله 2 ، في بدء الدعوة والوحي، سورة المُزَّمِّل المباركة التي يدعو الله تعالى فيها نبيّه إلى أن يعدّ نفسه والزمرة المؤمنة معـه في اللّيل إعداداً لتحمُّل القول الثقيل في النهار.

يقول تعالى مخاطباً نبيّـه: {**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُـمِ اللَّيْـلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِـيلاً * إِنَّ لَـكَ فِـي النَّهَـارِ**

سَبْحًا طَوِيلاً }[١].

والتعبير عن الّليل بالنَّشئة دقيق و معبّر، فإنَّه ينشئ الإنسان الذي يقيمه إنشاءً ويصنعه صنعاً للمهمات الصعبة ويوطّئ شخصيّته ويُعدّها إعداداً للمهام الكبيرة ويقوّم سلوكه.

و«أقوم قيلاً» يعني تقويماً: **{إِنَّ نَاشِئَةَ الَّلَيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً }**. أي: أكثر تسديدا لمنطق الإنسان ومقاله.

وفي خطبة المُتّقين يصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لهمَّام & ، كما في رواية الشريف الرّضي، شطري حياة المُتّقين: و هما الّليل والنهار فاستمع إليه:

«أمّا اللّيل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلاً، يحزّنون به أنفسهم، يستثيرون به دواء دائهم، فإذا مرّوا بآية تشويق ركنوا إليها طمعاً وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب أعينهم. وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم.

---

(١) المُزَّمِّل: ١ ـ ٧.

أمّا النّهار فحلماء علماء أبرار أتّقياء، قد براهم الخوف بري القداح، ينظر إليهم الناظر، فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، ويقول: لقد خُولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم».

إنّ اللّيل والنّهار شطرا حياة الإنسان وهما يتكاملان، ولليل رجال ودولة وللنّهار رجال ودولة، ورجال النهار تنقصهم دولة اللّيل في القيام والسجود بين يدي الله، ورجال اللّيل تنقصهم دولة النّهار في الدّعوة إلى الله وإقامة الحقّ وتعبيد الناس لله، وأنصار الإمام المهدي # رجال دولة اللّيل والنّهار، وآتاهم اللّه دولة اللّيل والنّهار معاً.

سمة العبيد من الخشوع عليهم
لله إن ضمّتهم الأسحار
فإذا ترجّلت الضحى شهدت لهم
بيض القواضب أنّهم أحرار

ولولا أنّهم رجال دولة اللّيل لم يتمكّنوا من مواجهة طغاة الأرض بمفردهم، ولولا أنّهم رجال النّهار لم يتمكّنوا من تطهير الأرض من لوثة الشرك وإقامة التوحيد والعدل على

وجه الأرض، ولو لم يكونوا من رجال النّهار لم يحكّموا التوحيد والعدل في حياة الناس. ولو لم يكونوا من رجال اللّيل لأخذهم الغرور وشطّ بهم عن الصّراط المستقيم.

مرحلتان أم جيلان

إذن نحن أمام جيلين، أوّلهما جيل يشهد سقوط التجربة الاشتراكية الماركسية، والتجربة الديمقراطية الرأسمالية وانهيارهما ويوطئ الأرض لظهور الإمام # ، وهو «جيل الموطِّئين»، وثانيهما «جيل الأنصار».

هلَ هما جيلان فقط أم جيلان و مرحلتان من التاريخ؟

لست أعلم، ولكنّ من المُستبعد أن يتمّ هذا العمل العظيم في جيل واحد.

واجبات مرحلة «الانتظار» ومسؤلياتها

نحن الآن نعيش في مرحلة «الانتظار»، وقد تكون أطول مرحلة في تاريخ الإسلام، فما هي أهم واجباتها ومسؤولياتها؟

في ما يأتي عرض موجز لتلك الواجبات والمسؤوليات:

أوّلاً: "الوعي"

والوعي على أنحاء:

أ ـ وعي التوحيد: وأنّ الكون كلّه من الله وكلّ شيء مسخّر بأمره، وهو قادر على كلّ شيء، وكلّ شيء في السّماء والأرض جُند مُسخّر له لا يملك من أمره شيئاً.

ب ـ وعي وعد الله وسط الأجواء السياسيّة الضاغطة: وفي مرحلة الضعف والانحسار، وفي أجواء النكسة. وإنّ من أشقّ الأُمور في مثل هذه الأجواء الضاغطة أن يتلقّى الإنسان بوعي قوله تعالى: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ}[١]

وقوله تعالى: **{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ}**[٢].

وقوله تعالى: **{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}**[٣].

وقوله تعالى: **{لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي}**[٤] وقوله تعالى: **{وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ}**[٥].

ج ـ وعي دور الإنسان المسلم على وجه الأرض: وهو القيمومة والشهادة والإمامة للبشرية. يقول تعالى:

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

---

(١) آل عمران: ١٣٩.

(٢) القصص: ٥ ـ ٦.

(٣) الأنبياء: ١٠٥.

(٤) المجادلة: ٢١.

(٥) الحجّ: ٤٠.

النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }[١].

د ـ وعي دور هذا الدين في حياة البشرية: في إزالـة الفتنـة والعوائق من طريق الدعوة، يقول تعالى:

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ }[٢].

هـ ـ وعـي السُّنن الإلهيـة للتـاريخ والمجتمع: وضـرورة الإعـداد والتمهيـد والحركـة والعمـل ضـمن هـذه السُّـنن واستحالة اختراقها، **{فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً }**[٣] ولـذلك يـأمر الله تعـالى المسـلمين بالإعـداد لهـذه المعركـة الفاصـلة **{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ }**[٤].

ثانياً: الأمل

وعنـدما يكـون الأمـل بوعـد الله لعبـاده وبحولـه وقوّتـه

---

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) البقرة: ١٩٣.

(٣) فاطر/ ٤٣ .

(٤) الأنفال: ٦٠.

وسلطانه فإنَّه لا ينفـد، ولا يخيّـب صـاحبه. وبهـذا الأمـل يشـدّ الإنسان المسلم حبله بحبـل الله وحولـه بحـول الله، ومَـن يشـدّ حبله بحبل الله فلا نفاد لأمله وقوّته وسلطانه.

ثالثاً: المقاومة

والمقاومة نتيجة الأمل. إنّ الغريـق الـذي ينظـر إلـى فريـق الإنقاذ يتقدّم إليه يغالب أمواج الماء، ويجد فـي عضـلاته قـوةً فوق العادة لمغالبتها.

رابعاً: الحركة

والحركــة هــي الأمــر بــالمعروف والنهــي عــن المنكــر، والدعوة إلـى الله وإعـداد الأرض لظهـور الإمـام وقيـام دولتـه العالمية، وإعـداد جيـل مـؤمن يتـولى نُصـرة الإمـام والإعـداد لظهوره وعياً وإيماناً وتنظيماً وقوة.

خامساً: الدعاء لظهور الإمام

ولا شكّ في أنّ الدعاء مع العمل والحركة إلى جنب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عوامل تقريب ظهور الإمام.

وقد وردت أدعية كثيرة في أمر ظهور الإمام وفي ثواب الانتظار.

منها هذا الدعاء الذي يردّده المؤمنون كثيراً.

«اللّهمّ كن لوليك الحجّة ابن الحسن، صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كلِّ ساعة، وليّاً وحافضاً، وقائداً وناصراً، ودليلاً وعيناً، حتّى تسكنه أرضك، طوعاً وتُمتعه فيها طويلاً».

شكوى ودعاء

وفي دعاء الافتتاح، المنقول من الإمام الحجّة # ، نقرأ هذه الشكوى المرّة، وهذا الدعاء العذب:

«اللّهمّ إنّا نشكو إليك فَقْد نبيِّنا، وكَثْرة عدوِّنا، وقلَّة عددنا، وشدَّة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا...

اللّهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تُعزُّ بها الإسلام وأهله وتُذِلُّ بها النّفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة».

الانتظار الموجّه

إذن الانتظار انتظاران: الانتظار الواعي والموجّه والانتظار غير الموجّه، والثاني هو «الرصد» الساذج لعلامات الظهور: الصيحة، الخسف، ظهور السفياني، الدجّال. ولست أنفي هذه العلامات، فقد وردت فيها روايات كثيرة في مجموعة روايات «الملاحم»، ورغم أن هذه الروايات لم تُدرس حتّى الآن دراسة سندية بصورة علمية دقيقة، إلاّ أنّني متأكّد سَلفاً من صحّة طائفة منها.

ولكنّني في الوقت نفسه أُعارض أُسلوب «الرصد» في مسألة الانتظار، وأعتقد أنّ هذا الأُسلوب يحرف الأُمّة عن واجباتها ومسؤولياتها في مرحلة الانتظار ويحرّف الأمة عن الأُسلوب الصحيح للانتظار.

والصحيح هو «الانتظار الموجّه». والانتظار الموجّه هو العمل والحركة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله والجهاد. وهذه هي العوامل الرئيسية لظهور الإمام (عجّل الله فرجه)، لأن أمر ظهور الإمام (ع) يرتبط بسلسلة من السُّنن الإلهية الموضوعية في التاريخ والمجتمع،

وهذه السُّنن لا تتحقّق إلاّ بالعمل والحركة.

والعلامات المذكورة في الروايات صحيحة على نحو الإجمال، ولكنّها في رأيي غير موقوتة بوقت خاص، وقد وردت روايات تصرِّح بتكذيب الوقّاتين، والعمل والحركة هو الذي يقرّب ظهور الإمام.

يقول عبد الرّحمن بن كثير: «كُنّا عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مهزم، فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظر متى هو؟ فقال: يا مهزم، كذب الوقّاتون وهلك المستعجلون»(١).

ويسأل فضيل بن يسار الإمام الباقر عليه السلام: أَلِهذا الأمر وقت؟ فقال عليه السلام: «كذب الوقّاتون»(٢).

إذن تعني هذه العلامات التوقيت الدقيق لظهور الإمام. والصحيح أنّه مرتبط بأعمالنا. صحيح أنّ الخسف والصيحة من علامات الظهور، ولكنّ عملنا هو الذي يقرّبهما

---

(١) إلزام الناصب ١: ٢٦٠.

(٢) المصدر السابق.

ويبعّدهما، وهذا تصحيح وتوجيه ضروري لابدّ منه لمفهوم الظهور، وهو التحوّل من البحث عن علائم الظهور إلى البحث عن (عوامل) الظهور، وهو منهج عملي إيجابي في هذه المسألة الحساسة.

تصحيح مفهوم الانتظار

نحن اليوم نعيش في عصر يكثر فيه الحديث عن ظهور الإمام ولست أعرف في عصور تاريخنا القريب والبعيد عصراً كان الحديث عن ظهور الإمام ودولته يأخذ من اهتمام الناس هذا المأخذ القوي.

إذن «الانتظار» سمة بارزة من سمات عصرنا. ولكن ـ مع الأسف ـ لم يجرِ تصحيح وتوجيه على مستوى الجمهور لمسألة الانتظار، ويبحث شبابنا عن ظهور الإمام # وعلامات ظهوره في بطون الكتب، وفي رأيي أنّه اتّجاه غير صحيح، والصحيح أن نبحث عن ظهور الإمام والثورة الكونية التي يقودها في واقع حياتنا السياسيّة والاجتماعيّة.

إنّ علامات ظهور الإمام لا تستبطنها الكتب بقدر ما

نجدها في واقعنا السياسي والحضاري المعاصر، وفي وعينا ومقاومتنا، ووحدة كلمتنا، وانسجامنا السياسي، وتضحيتنا وقدراتنا الحركية والسياسيّة والإعلاميّة.

إنّ المنهج الذي يتّبعه بعض شبابنا في البحث عن علامات ظهور الإمام في بطون الكتب منهج سلبي بالتأكيد. ويجب علينا تصحيح مفهوم الانتظار وتوجيه حالة الانتظار بالاتجاه الإيجابي.

والفرق بين المفهومين يتمثَّل في أنَّ المفهوم الأوّل يجعل دور الإنسان في الانتظار دوراً سلبياً، والمفهوم الثاني يجعل دور الإنسان في عملية ظهور الإمام دوراً إيجابياً وفاعلاً ويربطها بحياتنا وواقعنا السياسي والحركي ومعاناتنا وعذابنا.

ولا يتمّ ظهور الإمام (عجل الله فرجه) حتى تمرّ هذه الأمة بفتنة صعبة يسقط فيها ناس كثيرون، ويسلم فيها آخرون، ولابد من الإعداد لمواجهة الفتن المقبلة علينا بالوعي والبصيرة أولاً، والتقوى ثانياً، والعطاء والعمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثالثاً، وجهاد الطغاة وجبابرة

الأرض والعتاة رابعاً.

ومن دون المرور بهذا العبور الصعب لا يتم ظهور الإمام عجّل الله فرجه.. ولقد تحقق إلى اليوم طرف من هذه الفتن بالتأكيد، وبقي علينا أن نعدّ أمتنا وأنفسنا لخوض عباب هذه الفتن بسفن النجاة، وهي البصيرة والتقوى والعمل.

عن صفوان بن يحيى، قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: (والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا أو تميزوا)[1].

وعن منصور الصيقل، عن أبيه، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وعنده جماعة، فبينما نحن نتحدث وهو على بعض أصحابه مقبل، اذا التفت الينا، وقال: في أي شيء أنتم ها هنا؟ هيهات هيهات، لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تمحصوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى

(١) غيبة النعماني، باب ١٢ ما يلحق الشيعة من التمحيص. وفي الكافي ١ / ٣٧٠: كنا جلوساً وأبو عبد الله (ع) يسمع كلامنا.

تميزوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تغربلوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم إلا بعد يأس، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى يشقى من شقى ويسعد من سعد)[١].

وروي عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن عليه السلام في تفسير قوله: تعالى: {**أَلم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ**}[٢] قال: «يفتنون كما يُفتن الذهب ثُمَّ قال: يُخلصون كما يُخلص الذهب»[٣].

إن بين أيدينا عبو صعب في الدعوة إلى الله، وجهاد الطغاة الجبابرة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوعية والتثقيف لاجتياز الفتن الصعبة التي تواجهنا، وإعداد جيل ينهض بهذه المسؤوليات الصعاب.

---

(١) غيبة النعماني، باب ١٢ ما يلحق الشيعة من التمحيص. وفي الكافي ١ / ٣٧٠: كنا جلوساً وأبو عبد الله (ع) يسمع كلامنا

(٢) العنكبوت: ١ ـ ٢.

(٣) إلزام الناصب ١: ٢٦١.

وهـذه هـي العوامـل الأساسـية لظهـور الإمـام (عجـل الله فرجه).

إذن يـرتبط ظهـور الإمـام عليه السلام بعملنـا وواقعنـا وابتلائنـا ومحنتنا، وسعادتنا وشقائنا أكثر ممّا يرتبط بالعلامـات الكونيـة المذكورة في الكتب. وهذا مفهوم يجب أن نعمّقه ونثبّته.

من ينتظر الآخر نحن أم الإمام عليه السلام؟

وبناءً على هذا المفهوم ينقلـب الأمـر، ويكـون الإمـام عليه السلام هو الذي ينتظر حركتنا ومقاومتنا وجهادنا، وليس العكس فـإنّ أمر ظهور الإمـام إذا كـان يتّصـل بواقعنـا السياسـي والحركـي فإنّنا نحن الذين نصنع هذا الواقع.

وبالتـالي فـنحن نسـتطيع أن نـوطّئ لظهـور الإمـام بالعمـل والحركة ووحدة الكلمة والانسجام والعطاء والتضحية والأمـر بالمعروف، وبإمكاننـا أن نـؤخر ذلـك بالتواكـل والغيـاب عـن ساحة العمل، والتهرّب من مواجهة المسؤوليات.

قيمة الانتظار

وهذا المفهوم الإيجابي والموجّـه لــ «الانتظـار» هـو الـذي

يستحق هذه القيمة الكبيرة التي تعطيها النصوص الإسلامية له.

فقد روي عن رسول الله 2 : «أفضل أعمال أُمّتي الانتظار»[(١)].

وروي عنه 2 : «انتظار الفرج عبادة».

سأل زيد بن صوحان العبدي أمير المؤمنين عليه السلام ضمن اسئلة كثيرة نتجاوزه، قال: يا أمير المؤمنين، أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال: (انتظار الفرج)[(٢)].

وفي أمالي الشيخ الطوسي، عن أمير المؤمنين عليه السلام في الإجابة على سؤال الشيخ الشامي، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: (انتظار الفرج)[(٣)].

وفي غرر الحكم للآمدي، عن أمير المؤمنين عليه السلام: (أول

---

(١) إلزام الناصب ١: ٤٦٩.
(٢) الأربعون حديثا للحر العاملي.
(٣) الأمالي للشيخ الطوسي.

العبادة انتظار الفرج)[1].

وفي حديث محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال علي عليه السلام: (انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله عز وجل انتظار الفرج، والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله)[2].

وهذه القيمة الكبيرة الواردة في هذه الروايات تناسب هذا التصوّر الإيجابي عن الانتظار، وأبعد شيء عن التصوّر السلبي للانتظار بمعنى «الرصد».

---

(١) غرر الحكم للآمدي.

(٢) الخصال للصدوق ٢ / ٧٤٠ .

علاقة الحركة بالانتظار

بين الحركة والانتظار علاقة متبادلة.

وقد تحدّثنا عن علاقة الانتظار بـ «الحركة»، والآن نتحدّث، إن شاء الله تعالى، عن علاقة الحركة بـ «الانتظار».

العمل الحركي

العمل الحركي عملية هدم وبناء، ولذلك فهو يقترن دائماً بالتحدّي والمقاومة والمعاناة والعذاب، ولو كانت الحركة بناءً فقط من دون هدم لم تكن لتتطلّب كلّ هذا الجهد والعناء. فإنّ الهدم يقع على كيان سياسي قائم، ولكلِّ كيان منتفعون ينتفعون به ويدافعون عنه.

والدعوة إلى التوحيد حركة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة. ولذلك تقترن هذه الدعوة بـ «الجهاد والقتال» {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}[1].

---

(١) الأنفال: ٣٩.

فلا يمكن أن تشقّ هذه الدعوة طريقها إلى حياة الناس من دون إزالة الفتنة وإزالة العقبات التي يضعها المنتفعون من الكيان السياسي للشرك. ولا يمكن إزالة الفتنة من طريق الدعوة إلاّ بالقتال والجهاد. وذلك لأنّ التوحيد لا يستقرّ في فراغ سياسي واجتماعي، وإنّما يستقر في موضع الشرك، ولا تقوم دعوة إلى الله إلاّ على أنقاض الشّرك.

ضريبة العمل الحركي

ولهذا السبب فإنّ القيِّمين على الشرك وقادته يبذلون كلّ ما في وسعهم لإعاقة حركة التوحيد وإثارة الفتن وزرع الألغام والعقبات في طريق الدعاة إلى الله. والدعوة إلى التوحيد تتطلب إزالة هذه الفتن جميعها ومواجهة جميع هذه المعوّقات وتحدي كيان الشرك.

وهذان الأمران: التحدي والمواجهة يكلفان الدعاة إلى الله تعالى كثيراً في أنفسهم وأهلهم وأموالهم، ويتطلّبان منهم جُهداً كبيراً ويحمّلهم خسائر واسعة.

التكليف بالحركة

لهـذه الأسـباب يعطـي القـرآن اهتمامـاً كبيـراً وأكيـداً للتكليف بالحركة، ولـولا هـذه المشـقّة والمعانـاة فـي حركـة التوحيد لم يكن وجه لكلِّ هذا التأكيد. يقول تعالى:

{وَقُومُواْ لِلَّهِ قَانِتِينَ}(١).

{وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ}(٢).

{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}(٣).

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ}(٤).

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}(٥).

{جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ}(٦).

---

(١) البقرة: ٢٣٨.

(٢) لقمان: ١٧.

(٣) هود: ١١٢.

(٤) النحل: ١٢٥.

(٥) العلق: ١.

(٦) التوبة: ٧٣.

{وَجَاهَدُواْ في سَبِيلِ اللَّهِ}[١].

{انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِـدُواْ بِـأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِـكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}[٢].

{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}[٣]

{وَقَاتِلُواْ في سَبِيلِ اللَّهِ}[٤].

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ}[٥].

{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّـهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَـا أَوْ أَن يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى }[٦].

---

(١) البقرة: ٢١٨.

(٢) التوبة: ٤١.

(٣) البقرة: ١٩١.

(٤) البقرة: ١٩٠.

(٥) الأنفال: ٣٩.

(٦) طه ٤٣ - ٤٦ .

{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنذِرْ* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ }(١).

{ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً }(٢).

وهذه جميعها تعليمات حركية باتجاه تغيير الواقع وإحلال التوحيد محل الشّرك وإزالة الفتن والعوائق من طريق الدعوة.

ضعف الإنسان

يضعف الإنسان عن القيام بمثل هذه المسؤولية الصعبة، ولا يجد في نفسه القدرة على مواجهة جميع هذه العقبات والعوائق، فإنّ المعركة بين جبهتي التوحيد والشّرك ضارية وشرسة، فيجد الإنسان في نفسه ضعفاً من مواجهة هذه الجبهة لوحده، أو مع قلّة من المؤمنين ويستجيب لهذا الضعف، وينسحب عن المواجهة إلاّ أن يعصمه الله تعالى.

والاستجابة لعوامل الضعف في نفس الإنسان هي أوّل

---

(١) المدثر ١ - ٣ .

(٢) المزمل ١ - ٢ .

العوائق التي يواجهها العاملون في سبيل الله، ويبرز هذا الضعف على شكل الخوف والجبن من الطاغوت وأعوانه، والتعب من مواصلة الطريقة، واليأس من جدوى الاستمرار، وحبّ العافية وإيثار الراحة، والذين تساقطوا على الطريق كثيرون ممّن لم يتمكّنوا من إكمال المسيرة.

كيف نحصّن أنفسنا من السقوط؟

ولابدّ من أن نبحث عن العوامل والأسباب التي تحصّننا في هذه المسيرة من السقوط وتعصمنا من الشَّيطان، ومن ضعف أنفسنا، ووسائل التحصُّن والعصمة في حياة العاملين كثيرة.

وأهمّها أربعة يذكرها القرآن:

١ ـ الاستعانة بالصّبر والصّلاة.

٢ ـ الولاء.

٣ ـ الميراث.

٤ ـ الانتظار.

وفي ما يلي توضيح موجز لهذه الوسائل الأربع:

١ـ الاستعانة بالصَّبر والصَّلاة

يقول تعالى: **{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ}**(١).

ويقول تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ}**(٢).

وفي سورة هود يشدّ الله على قلب رسوله 2 في وسط المعركة الضارية، التي كان يخوضها مع أئمة الشّرك في الجزيرة، فيقصّ له قصّة مسيرة التوحيد الطويلة. ثُمَّ يقول تعالى لرسوله 2 بعد استعراض هذه المسيرة الطويلة: **{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَتَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلاَتَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَالَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَتُنصَرُونَ ***

---

(١) البقرة: ٤٥.

(٢) البقرة: ١٥٣.

وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}(١).

والصَّبر هو الثبات لسُنن الله تعالى. وتجري المعارك بموجب سُنن الله. والذي يريد أن يربح المعركة لابدّ من أن يعرف هذه السُّنن ويثبت لها ويقابلها بما يكافئها ويقابلها في سنن الله.

ولابد من إعداد القوّة المكافئة لقوّة العدوّ في ساحة المعركة، أو في الساحة السياسيّة، أو الإعلام... ولابد من الصَّبر.

إنّ الصَّبر ليس بمعنى أن يتحمّل الإنسان العدوّ، بل بمعنى أن يقاوم ويثبت للعدوّ، ولا ينهار ولا ينسحب من مواجهته، حتّى يتمكّن من ردعه ودفعه بقوّة مكافئة لقوّته، وهو المعنى الإيجابي للصَّبر.

---

(١) هود: ١١٢ ـ ١١٥.

والصَّلاة تُمثّل الارتباط بالله وذكره، والإنسان المسلم في وسط المعركة لابدّ من أن يستعين بالله ويذكره ذكراً كثيراً، ويستمدّ القوّة والعزم من الله ـ ويشدّ حبله بحبل الله ـ فإذا وَصَل الإنسان حبله بحبل الله تعالى في ساحة المعركة، فإنّه لا يخاف ولا يجبن ولا يضعف، وهذا هو معنى الصَّبر والصَّلاة.

٢ـ الولاء

المسلمون نسيج واحد، بعضهم من بعض، تربط بعضهم ببعض علاقة عضوية متينة هي علاقة الولاء. وهذا الولاء هو الولاء على الخط الأُفقي في مقابل الولاء لله تعالى ورسوله وأولياء الأُمور، وهو الولاء على الخط العمودي في نسيج المجتمع الإسلامي. وإلى هذه العلاقة العضوية التي تشدُّ الأُمّة المسلمة بعضها ببعض، وتكوِّن منها كتلة مترابطة واحدة تشير الآية الكريمة: {**وَالْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ**

بَعْض }[١]. وهذا الولاء يتضمّن التحابب والتناصر والتضامن والتكافل والتعاون والتسالم والتناصح.

والأُمّة التي يرتبط بعضها ببعض بهذه الوشائج القويّة أُمّة متماسكة قويّة في ساحة المعركة، ولأمر ما يجعل الله تعالى أساس العلاقة بين أطراف هذه الأُمّة وأعضائها على أساس الولاء. فإنّ علاقته أمتن علاقة في الأُسرة الواحدة.

ولمّا كانت مهمّة هذه الأُمّة الأُولى هي المواجهة والتحدّي في ساحة الصراع، فلابدّ من أن تتمتّع ببناء داخلي قويّ ونسيج محكم ومتين، لتستطيع أن تقاوم ضراوة المعركة الحاسمة التي تدخلها هذه الأُمّة. ومن دون هذا الولاء المتين الذي يشدّ بعض المسلمين إلى بعض لا تستطيع هذه الأُمّة أن تقاوم جبهة الكفر والنفاق في هذه المعركة المصيرية. وهذه الأُمّة مجتمعة تعتصم بحبل الله، وهي كتلة واحدة، ومجموعة واحدة، وأُسرة واحدة، في مواجهة أئمة الكفر {وَاعْتَصِمُواْ

---

(١) التوبة: ٧١.

بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَتَفَرَّقُواْ}[1].

وفي هذه الآية يأمرهم الله تعالى بالاعتصام أوّلاً بحبل الله في ساحة المعركة، وأن يكون هذا الاعتصام من قبل الجميع {**جَمِيعاً**}.

فإنّ الصراع يتطلّب من كلّ من الطرفين المتصارعين أن يستحضر كلّ قوّته. وقوّة هذه الأُمّة في أمرين: في اعتصامها بالله وفي اجتماعها ووحدة كلمتها في هذا الاعتصام.

٣ ـ الميراث

ومن الضروري أن يستحضر أعضاء هذه الأُسرة، في ساحة المعركة، عراقة هذه الأُسرة في التاريخ، وجذورها التاريخية. فإنّ معرفة هذه العراقة والعمق التاريخي لهذه الأُسرة واستحضارها في ساحة المواجهة تمنح الدعاة والعاملين في سبيل الله في ساعة المواجهة قوّة وصلابة ومتانة

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

واستحكاماً أكثر.

فليست هذه الحركة الكبيرة في التاريخ حركة مبتورة الجذور، وإنّما هي تضرب في أعماق التاريخ من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وإلى رسول الله 2 . وحركة تملك هذا العمق والعراقة، وتثبت لمؤامرات المشركين وكيدهم ومكرهم طوال عشرات القرون، حَرِيّة بأن تَثبُت وتَثبِت جدارتها وكفاءتها في هذه المعركة. إنّ أُسرة التوحيد شجرة طيّبة على وجه الأرض أصلها ثابت وفرعها في السّماء.

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[1]

والشّرك كذلك أُسرة، إلاّ أنّها أُسرة مبتورة أُجتُثت من فوق الأرض مالها من قرار. وإنّه لَمن الضروري لأعضاء هذه

---

(١) إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.

الأُسـرة الداعيـة إلـى الله، أن تستحضـر جـذورها وعمقهـا وعراقتهـا فـي التـاريخ، وصـلتها بالصـدِّيقين والصَّـالحين والراكعين والساجدين والذاكرين الله والدعاة له.

ولأمر ما نحيِّي الحسينعليه السلام ونسلّم عليه بهذا الميراث الضخم الذي يرثه من آبائه ^ ، من آدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى رسول الله 2 فنقول:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ نُوح نَبِيِّ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ اِبْراهيمَ خَليلِ الله».

إنّه لَمن الضروري، في ساحة المعركة، أن يستحضر الإنسان هذا العمق وهذه العراقة، فإنّها تعصمه وتحصّنه وتدعمه في وسط هذه المعركة الضارية.

٤ـ الانتظار والأمل

والانتظار رابع العوامل التي تمدّ الإنسان بالحركة، فإنّ الانتظار يبعث الأمل في نفسه، والأمل يمنحه القدرة على المقاومة والحركة. إنّ الغريق الذي ينتظر وصول فريق

الإنقاذ، يقاوم أضعاف ما يقاوم الغريق الذي يفقد الأمل من الإنقاذ.

إنّ الإيمان بـ «وراثة الصَّالحين» للأرض و «إمامة المُستضعفين المؤمنين» وأنّ «العاقبة للمُتّقين» يمنح الصَّالحين والمُتّقين ثقة وقوّة، ويثبّت أقدامهم على أرض المعركة، ويمنحهم قدرة على مواجهة الصعاب وتحدّي الجبابرة والمُستكبرين في أشقّ الظروف وأقساها ويحول بينهم وبين الانهيار والهزيمة النفسية في ظروف المحنة الصعبة.

ولأمر ما يؤكّد القرآن الكريم على حقيقة **{وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}**(١). ويقرّر وراثة الصَّالحين للأرض ويؤكّدها كما قرّرها الله تعالى من قبل في «الزبور».

{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}(٢).

---

(١) الأعراف: ١٢٨.

(٢) الأنبياء: ١٠٥.

ولأهمية هذه الحقيقة، وضرورة تأكيدها وتعميقها في نفوس المؤمنين، وبناء العقلية الإسلامية عليها، يقرّرها الله تعالى في «الذكر» و«الزبور» معاً. ويقرّر الله تعالى إمامة المستضعفين في الأرض وقيمومتهم على مسيرة الحضارة الإنسانية... وهذا إقرار من الله تعالى وإرادة حتمية منه سبحانه، إذا استجاب المستضعفون لما يأمرهم به ويدعوهم إليه، من الإيمان والعمل الصالح.

يقول تعالى: {**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ**}(١).

وهاتان الآيتان، وإن كانتا واردتين، في قصة أمر موسى عليه السلام وفرعون وهامان، فإنّ الإرادة الإلهيّة لإمامة المُستضعفين المحرومين مُطلقة وغير مقيّدة بشيء إلاّ الاستجابة لما يدعو الله تعالى إليه المؤمنين من الإيمان

(١) القصص: ٥ ـ ٦.

والعمل الصالح، وهذا الوعد الإلهي بإمامة المستضعفين في الأرض يمنح المؤمنين المستضعفين قوّة وثقة وطمأنينة، ومقاومة وصبراً على تحمّل متاعب الساحة والصراع، وثباتاً على الأذى، ويثبّت أقدامهم على أرض المعركة شأنه في ذلك شأن أي انتظار حقيقي للإنقاذ، يبعث الأمل في نفوس المقاتلين في ساحات القتال. وفي وسط المعركة.

في مواجهة فرعون وهامان يثبّت رسول الله موسى بن عمران صلى الله عليه وآله قومه من بني إسرائيل في ساحة المواجهة والمعركة، بوعد الله وانتظار الفرج، وانتظار المددّ من الله تعالى.

تأمّلوا في هذه الآيات المباركات من سورة الأعراف:

{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُواْ بِاللَّهِ وَاصْبِروآْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَاجِئْتَنَا قَالَ عَسَى

رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}[1]. فيحاول نبيّ الله موسى بن عمران صلى الله عليه وآله أن يُشعر بني إسرائيل في ساحة المعركة، وفي ساعة المواجهة بالأمل بالله تعالى، ووعد الله، وانتظار الفرج. ويُقرّر لهم هذا القرار الإلهي العظيم: {**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُواْ بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**}.

ومن عجب أن يربط موسى بن عمران عليه السلام بين «الصَّبر» و«الانتظار» لوعد الله {**اصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ**} ويحاول بنو إسرائيل أن يعيدوا نبيّهم عليه السلام من انتظار المستقبل إلى مرارة الحاضر، فيقولون له: {**أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَاجِئْتَنَا**} فيعود موسى بن عمران صلى الله عليه وآله إليهم مرّة ثانية ليعيدهم بالنَّبرة نفسها المطمئنة

---

(١) الأعراف: ١٢٨ ـ ١٢٩.

إلى انتظار وعد الله والصَّبر على الأذى حتّى يأذن الله بـالفرج، وهـو قريـب: {قَـالَ عَسَـى رَبُّكُـمْ أَن يُهْلِـكَ عَـدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ في الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}.

إذن فـإنّ الله تعـالى يريـد لهـذه الأُمّـة أن يثقّفهـا علـى «الوراثة» و«الانتظار»، وراثة الأنبياء والصَّالحين وانتظـار وعـد الله تعالى بالفرج وإمامـة الصَّـالحين. وحركـة التوحيـد يحفّهـا من جانب قانون «الوراثة» ومن جانب آخـر قـانون «الانتظـار». والوراثة والانتظار هما أهمّ أعمدة حركة التوحيد في مسـيرها الطويل الشاق. وعلينـا أن نُثقّـف أنفسـنا بهـذه الثقافـة القرآنيـة المزدوجة «الوراثة» و«الانتظار».

الفهرس

علاقة الانتظار بالحركة ٥

التّوجيه النفسي لمسألة الانتظار ٥

المناقشة: ٥

الانتظار في المدارس الفكريّة (غير الدينية) ٦

الانتظار في الأديان السابقة على الإسلام ٦

الانتظار عند المسلمين (من أهل السُنّة) ٧

أحاديث الانتظار عند الشيعة الإماميّة.............................. ١٠

ما هو الانتظار؟ وما قيمته الحضاريّة؟ ١١

أنحاء الانتظار ١٣

آلية التغيير... ١٧

الانتظار «حركة» وليس «رصداً» ١٨

ما هو السبب في تأخير (الفرج)؟ ١٩

نقد الرأي الأوّل.. ٢٠

الرأي الثاني ٢٦

دور السُّنن الإلهية والإمداد الغيبي في ثورة الإمام (ع) ٢٧

جيل «الموطِّئين» في النصوص الإسلاميّة ٣١

١ ـ الموطّئون في المشرق ٣١

٢ ـ الموطّئون من خراسان ٣٣

٣ ـ الموطّئون من "قم" و "الري" ٣٣

٤ ـ الموطّئون من اليمن ٣٤

الدلالات ٣٤

١ ـ الجيل الصلب ٣٤

٢ ـ جيل التحدّي والتمرّد ٣٥

٣ ـ ردود الفعل العالمية ٣٩

مشروع التوطئة ٤١

جيل الأنصار في الروايات الإسلامية ٤٤

شباب الطالقان ٤٤

أصحاب الإمام شباب ٤٦

عدد قادة أنصار الإمام ٤٦

الدلالات والتأمّلات ٤٧

١ ـ كنوز ليست من ذهب ولا فضّة ٤٨

٢ ـ القوّة والوعي.. ٤٨
٣ ـ الوعي والبصيرة ٤٩
٤ ـ عزم نافذ ٥٠
٥ ـ القوّة ٥١
٦ ـ الاستماتة وحبّ الشهادة ٥٢
٧ ـ تعادل الشخصية.. ٥٤
٨ ـ رهبان باللّيل ليوث بالنّهار............................ ٥٦
مرحلتان أم جيلان ٦٠
واجبات مرحلة «الانتظار» ومسؤلياتها ٦١
أوّلاً: "الوعي"... ٦١
ثانياً: الأمل.. ٦٣
ثالثاً: المقاومة ٦٤
رابعاً: الحركة ٦٤
خامساً: الدعاء لظهور الإمام.............................. ٦٤
شكوى ودعاء ٦٥
الانتظار الموجّه ٦٦
تصحيح مفهوم الانتظار ٦٨

من ينتظر الآخر نحن أم الإمامعليه السلام؟ ٧٢
قيمة الانتظار ٧٢
علاقة الحركة بالانتظار ٧٥
العمل الحركي ٧٥
ضريبة العمل الحركي ٧٦
التكليف بالحركة ٧٧
ضعف الإنسان ٧٩
كيف نُحصّن أنفسنا من السقوط؟ ٨٠
١ ـ الاستعانة بالصَّبر والصَّلاة ٨١
٢ ـ الولاء ٨٣
٣ ـ الميراث ٨٥
٤ ـ الانتظار والأمل ٨٧
الفهرس ٩٣